

# استراتيجية اعلامية سعودية تجابه الضغوط

خالد التويصر \*

تتعرض المملكة العربية السعودية لسيل من الحملات الاعلامية والضغط السياسي منذ أحداث ١١ ايلول (سبتمبر)، واصمة إياها برعاية الإرهاب، وأبعد من ذلك فكثيراً ما تصوب تلك السهام الى صنم الفكر الديني المفارص في المملكة مع سعي حديث لإيجاد العلائق بين تلك الفكر والأرهاب، ويعتني أدق الطعن في الايديولوجية الدينية الرسمية للدولة باعتبارها السند القوي المؤازر للقيادة السياسية الحاكمة.

إنما هذا الوضع الدقيق وجنبا أنفسنا في خاتمة من الدفاع أوصنا إليها اعتمادنا على الانتقائية، والانتقائية في مضامين ومفردات خطابنا السياسي، نجد أنفسنا من دون استراتيجية اعلامية واضحة تتصدى لكل تلك الحملات والمزاعم، ما عدا التحركات الموسمية المرتكزة على ردود الأفعال والتبصيرات الهادفة الى تسويق ثقافة الإسقاط وتوم الأخرين.

إن استناد خطابنا السياسي الاعلامي على مبدأ ان ليس في الامكان احسن مما كان، وتعليق اخفاقاتنا كلها على الآخرين والتبرير القاصر لتلك الاخفاقات والمنكالات اعتماداً على نظرية المؤامرة والاستهداف من الغير، ما عادت تقنع حتى اطفالنا الصغار الذين يعيشون عصر المعلومات التي تحترم عقولهم والتي تظهر عليهم من تقنيات الاتصال الرهيبة، وحين الوقت لإضفاء مزيد من الشفافية والصدق مع أنفسنا للاعتراف بأن لدينا العديد من المشاكل ساهمتنا نحن بايديتنا ولم يجانها ولم نعالجها ولم يكن للأخرين فيها ناقة ولا جمل.

خذ على سبيل المثال مشكلة البطالة التي تعددت على سائر شريحة الشباب والتي جاءت كنتيجة منطقية لعدم التساق سياسات ومخرجات التعليم مع متطلبات التنمية الفعلية، فهل كان الحرب والوطني الصهيوني وراحمها أو مسؤولاً عنها؟ لدينا طرف وتزمت لا تحببها العين فهل استطاع أولئك ان يتفكروا خبسة في اوساط شبابنا ليعتدوا ويتقلدوا قيمهم مفاهيمهم وأفكارهم للسامية؟ ان في مقدورنا ان نستمر على هذا المنوال والخطاب لسنوات عدة مقبلة، على غرار ما نهجناه من قبل، لكن هذا يعد بمثابة خداع لأنفسنا، فالصقبة ان ما نهجناه الآن هو نتيجة طبيعية مؤلمة لاجتالنا مهما حاولنا مخالفة الواقع.

إنما قد أدمنتنا في خطابنا السياسي استخدماتنا الفعل التفضيل من اننا يوماً الأفضل والاحسن والاكبر سياسياً واقتصادياً وثقافة، من دون ان نعترف وبكل شفافية وصدق مع الذات أولاً ثم مع الآخرين فيما يخصنا واخفاقاتنا بل نجعلنا ويعرنا الطبيعيين، من دون ان يكون هذا مدعاة لفهم القاصر والانهام بالترويج لثقافة الانهزامية والاستسلامية والتخذيل وتثبيط الهمم.

صحيح نحن امة مستنيرة على ثوابت وإراث ديني وثقافي تليد، لكن الركعون الى هذه الأبعاد التليدة والهروب اليها

كلما ادهمت علينا الخطوب واستعرت الصلوات ما عادت تجدي نقماً بل إنها دائماً ما تصيب مسيرتنا الحضارية بتشوّهات سلبية تقضي الى التجمد والتلذذ، ذلك ان مثل تلك المبررات التليدة في حاجة للمواصلة والمواكبة لمقتضيات العصر، فمسئلة الحياة وعجلة التاريخ لا تركنان الى مرحلة زمنية معينة، وان لم نواكب وتغير مسيرنا علينا التغيير ضروراته شتتاً ام آبيتاً.

إنما في مسيس الحاجة لصوغ مشروع خطاب سياسي اعلامي يستجيب في قضايا قضايا المعاصرة والتحديث، خطاب اعلامي يستند على الشفافية والمصارحة والاعتراف بالمشكلات وتحديد محاورها ومعالجتها بالقرارات الشجاعة الكبيرة في حجم التحديات الجسيمة، مشروع خطاب سياسي واستراتيجية اعلامية تناه عن الموسمية وردود الأفعال الأتية.

وإذا كانت الصورة تقود الى الانطباع والانطباع يقود الى الاقتناع والاقتناع يقضي الى التمثل والتفحص، فالأميركيون انطبعوا، بل حفرت في عقولهم الجحشي مشاهد الهول والربح الفظيع وهم يرون بأن أعينهم لتسلا توجيههم تتطابق مع هول جحيم ودمار وغيار مركز التجارة العالمي القشواوي وبالقياس اعتبرونا شتتاً ام آبيتاً، صحيحاً كان ذلك ام باطلاً، من المسؤلون الرئيسيين لما حاق بهم وبذوهم، فهل يصدي في ظل هذه الظفرة الحالية الاكتفاء بالعلاقات العامة وحدها لسح تلك الصورة الاثيمة؟ أظن ان الأمر يتطلب مواقف وقرارات كبرى.

إننا مطالبون أولاً وليس من أجل الأميركيين أو غيرهم بل من أجل أنفسنا، بترتيب البيت لأن الإصلاح يعد بمثابة أكبر حملة اعلامية تدافع عن الوطن وتحافظ على كيانته.

والمطلوب تفسير لانماط التفكير الحالية في سائر مناحي حياتنا، وتفكير قادر على المواكبة والمعاصرة لا المرتكز على الانكفاء والجمود، تفكير يستجيب والواقعية والشجاعة المفضية للاعتراف أولاً بالخطأ ثم وضع الحلول الراحمة له، تفكير مرتكز على عدم القنطرة الأكثر بل تقبل الآخر وتطوير رأيه وترويضه للمصلحة العامة، تفكير قادر على فتح كل الملفات الجانبة البالية التي طمسها الحصري، من أجل التفتيح الحصري والاحلال والابدال، ولحوق هذا وذلك اتخاذ قرارات صعبة وكبيرة وشجاعة مهما كان الثمن لأن المواجهة اليوم امون كثيراً من المواجهة عدلاً.

فالمواطن بلا شك يعيش حالاً استثنائية فلا بد ان يكون المحل على قدر التحديات الكبيرة، ولن يتأتى ذلك الا اذا كانت الإرادة الوطنية مفعمة بالامال العريضة والتطلعات والاماني الوثابة لتبني صوغ التاريخ والمستقبل وفق ما نهوى، وإذا وقفنا في تحقيق وإنجاز وتلو قدر ضئيل من تلك الرؤى والمقترحات، فإن ذلك الفضل سلاح وأسلم منهجية سياسية وإعلامية لمواجهة ودحض وإفراغ الضغوط المعادية من مضامينها.